المحاضرة الثانية: الاتجاهات السياسية في الوطن العربي

يمثل موضوع الاتجاهات السياسية العربية المعاصرة خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من القضايا الهامة في دراسة التحولات الفكرية والسياسية التي عرفها الوطن العربي في سياق ما يُعرف بـ"النهضة العربية". فقد شهدت هذه المرحلة تفاعلاً معقدًا بين عوامل داخلية، مثل ضعف الدولة العثمانية وتفكك بنيتها الإدارية، وعوامل خارجية تمثلت في التغلغل الاستعماري الأوروبي، مما أدى إلى بروز تيارات واتجاهات سياسية متعددة سعت إلى الإصلاح أو التغيير أو الاستقلال. تمثلت الاتجاهات في ما يلي:

1. الاتجاه الإصلاحي:

يعد أحد أقدم وأهم الاتجاهات السياسية. وقد ارتبط هذا التيار بمحاولات تحديث الدولة العثمانية والحفاظ على وحدتها، من خلال إصلاح مؤسساتها السياسية والإدارية. ومن أبرز رواد هذا الاتجاه رفاعة رافع الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وخير الدين التونسي، ورشيد رضا، الذين دعوا إلى التوفيق بين مبادئ الإسلام ومتطلبات العصر الحديث، وإلى الأخذ بأسباب التقدم الأوروبي دون التفريط في الهوية الثقافية، وقد ركز هذا الاتجاه على التعليم، وإصلاح القضاء، وتطوير الإدارة كوسائل للنهوض بالمجتمع.

ونعني به أيضا؛ التيار الفكري الذي دعا إلى تجديد الفكر الديني، وإعادة فهم النصوص الإسلامية بما يتلاءم مع متطلبات العصر، ونبذ الجمود والتقليد، مع الاستفادة من منجزات الحضارة الغربية في مجالات العلم والتنظيم والإدارة، دون الوقوع في التبعية أو التفريط في القيم الإسلامية.

2. الاتجاه القومي العربي:

ظهر الاتجاه القومي العربي وتبلور بشكل أوضح في أواخر القرن التاسع عشر. وقد ارتبط هذا التيار بتنامي الوعي بالهوية العربية في مواجهة سياسة التتريك التي انتهجتها جمعية جمعية الاتحاد والترقي داخل الدولة العثمانية. وقد دعا القوميون العرب إلى إحياء اللغة العربية، وتعزيز الروابط الثقافية والتاريخية المشتركة، وصولًا إلى المطالبة بالاستقلال السياسي. ومن أبرز رموز هذا الاتجاه ساطع الحصري وعبد الرحمن الكواكبي، حيث ركز الكواكبي على نقد الاستبداد في كتابه "طبائع الاستبداد"، وربط بين الحرية السياسية والتقدم الحضاري.

وهو الاتجاه التي دعا اليه دعاة القومية العربية بناء على مجموعة من الأسس، التي تمثل أهمها؛ الوحدة اللغوية؛ التي اعتُبرت اللغة العربية الرابط الأساسي بين العرب . والتاريخ المشترك باستحضار أمجاد الماضي العربي الإسلامي . والانتماء الجغرافي الذي يعتبر الوطن العربي وحدة متكاملة . والوعي الثقافي؛ الدفاع عن التراث العربي في مواجهة التغريب .

وتجلت مظاهر هذا الاتجاه في الدعوة إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية والمطالبة بإحياء اللغة العربية في الإدارة والتعليم وتأسيس جمعيات وأحزاب ذات طابع قومي وتنظيم مؤتمرات مثل المؤتمر العربي الأول 1913 الذي طالب بالإصلاح واللامركزية.

مع بداية القرن العشرين، انتقل الفكر القومي من الطابع الثقافي إلى العمل السياسي، خاصة خلال الحرب العالمية الأولى، حيث دعمت بعض القوى العربية والغربية الثورة ضد العثمانيين، التي تجسدت في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين بن علي . غير أن آمال الوحدة والاستقلال اصطدمت باتفاقيات استعمارية مثل اتفاقية سايكس بيكو التي قسمت المشرق العربي.

3. الاتجاه اليساري:

يُعدّ الاتجاه اليساري العربي من أبرز التيارات الفكرية والسياسية التي تشكّلت في سياق التحولات العميقة التي شهدها العالم العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبلغت ذروتها في منتصف القرن العشرين. وقد ارتبط هذا الاتجاه أساسًا بانتشار أفكار الاشتراكية والماركسية، وبالصراع ضد الاستعمار، وبمحاولات تحقيق العدالة الاجتماعية والتحرر الوطني.

لم يظهر اليسار العربي فجأة، بل تبلورت إرهاصاته الأولى في إطار حركة النهضة العربية، حيث تأثر المفكرون العرب بالأفكار الأوروبية الحديثة، خاصة مع ازدياد الاحتكاك بالغرب عبر البعثات التعليمية والترجمة. فقد نقل رواد النهضة مثل رفاعة رافع الطهطاوي وفرح أنطون بعض المبادئ المرتبطة بالحرية والمساواة والعقلانية، وهي مفاهيم مهّدت لاحقًا لتقبل الفكر الاشتراكي. كما ساهمت التحولات الاقتصادية والاجتماعية، مثل نشوء طبقة عاملة في المدن الكبرى (القاهرة، بيروت، الإسكندرية)، في خلق بيئة مناسبة لتبنّي أفكار تدعو إلى العدالة الاجتماعية ومقاومة الاستغلال.

مع مطلع القرن العشرين، بدأ التأثير المباشر للأفكار الاشتراكية والماركسية في العالم العربي، خصوصًا بعد نجاح الثورة البلشفية سنة 1917، التي شكّلت نموذجًا ملهمًا للحركات الثورية. وقد انتشرت كتابات كارل ماركس وفلاديمير لينين بين المثقفين العرب، خاصة في المراكز الثقافية الكبرى. في هذه المرحلة، بدأ تأسيس الأحزاب الشيوعية في عدد من البلدان العربية، مثل: الحزب الشيوعي المصري والحزب الشيوعي السوري-اللبناني والحزب الشيوعي العراقي. وهي تبنت هذه الأحزاب مبادئ الصراع الطبقي، وإلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، والدفاع عن حقوق العمال والفلاحين.

كما ارتبط اليسار العربي ارتباطًا وثيقًا بحركات التحرر الوطني، حيث رأى أن الاستعمار يمثل أعلى مراحل الرأسمالية والاستغلال. لذلك شارك اليساريون في مقاومة القوى الاستعمارية في مختلف الأقطار العربية، سواء عبر العمل السياسي أو النضال المسلح، ففي الجزائر مثلًا، تداخلت الأفكار اليسارية مع الحركة الوطنية، خاصة خلال الثورة الجزائرية، حيث تبنى بعض المناضلين خطابًا اشتراكيًا يدعو إلى بناء دولة قائمة على العدالة الاجتماعية بعد الاستقلال.

بلغ الاتجاه اليساري العربي أوج تأثيره في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، حيث ارتبط بالأنظمة القومية التقدمية، فقد تبنّت بعض الدول العربية سياسات اشتراكية، كما حدث في مصر في عهد جمال عبد الناصر، الذي أعلن تبني "الاشتراكية العربية" وقام بتأميم قناة السويس وإجراء إصلاحات زراعية واسعة. ومن أبرز مفكري هذا الاتجاه: سلامة موسى الذي دعا إلى الاشتراكية والتحديث، حسين مروة، الذي عمل على تأصيل الفكر الماركسي في التراث العربي . ومهدي عامل ، الذي قدّم تحليلات معمقة للبنية الاجتماعية العربية من منظور ماركسي .

4 . الاتجاه الليبيرالي

يُعدّ الاتجاه الليبرالي العربي من أبرز التيارات الفكرية التي ظهرت في سياق النهضة العربية الحديثة، حيث ارتبط بمحاولات الإصلاح والتحديث، وبالسعي إلى التوفيق بين القيم الغربية الحديثة والخصوصية الثقافية العربية، وقد تطور هذا الاتجاه عبر مراحل متعددة منذ القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين.

نشأ الاتجاه الليبرالي في ظل ما عُرف بـ"عصر النهضة العربية"، وهو العصر الذي شهد احتكاكًا واسعًا بين العالم العربي وأوروبا، خاصة بعد حملة الحملة الفرنسية على مصر .وقد أدّى هذا الاحتكاك إلى انتقال أفكار جديدة تتعلق بالحرية، والدستور، وحقوق الإنسان، وفصل السلطات.

كما ساهمت البعثات التعليمية إلى أوروبا، وحركة الترجمة، وظهور الصحافة، في نشر الفكر الليبرالي، وتشكيل نخبة مثقفة مؤمنة بالإصلاح والتحديث، برز عدد من المفكرين الذين أسّسوا لهذا الاتجاه، ومن أهمهم: رفاعة رافع الطهطاوي الذي دعا إلى الأخذ بأسباب التقدم الأوروبي، ونادى بالإصلاح التعليمي والسياسي، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية . خير الدين التونسي الذي ركّز على ضرورة الإصلاح السياسي والإداري، وأكد أهمية الدستور والمؤسسات قاسم أمين الذي دافع عن تحرير المرأة وتعليمها، باعتبار ذلك شرطًا لتقدم المجتمع . وهؤلاء المفكرون لم ينقلوا الليبرالية بشكل حرفي، بل سعوا إلى تكييفها مع الواقع العربي والإسلامي.

قام الاتجاه الليبرالي العربي على مجموعة من المبادئ الأساسية، منها: الدعوة إلى الحرية الفردية وحقوق الإنسان، إقامة نظام دستوري قائم على الفصل بين السلطات، سيادة القانون ومبدأ المواطنة، إصلاح التعليم ونشر المعرفة، تحرير المرأة وتحسين وضعها الاجتماعي، الانفتاح على الحضارة الغربية مع الحفاظ على الهوية .

مع بداية القرن العشرين، أصبح الاتجاه الليبرالي أكثر نضجًا وتنظيمًا، خاصة مع نشوء الأحزاب السياسية والدساتير في بعض الدول العربية. وقد تأثر هذا الاتجاه بالأفكار الأوروبية، خاصة أفكار جون لوك ومونتسكيو، التي أكدت على الحرية السياسية وفصل السلطات. كما برز مفكرون جدد مثل: طه حسين الذي دعا إلى العقلانية والتحديث، وربط التقدم بالعلم والتعليم، أحمد لطفي السيد لُقّب بـ"أستاذ الجيل"، ودافع عن الليبرالية السياسية والحرية الفردية .

شهدت هذه المرحلة ظهور دساتير ومجالس نيابية في بعض البلدان، مثل مصر والعراق، ما أعطى للفكر الليبرالي بعدًا عمليًا. ومن جهة أخرى واجه الاتجاه الليبرالي تحديًا كبيرًا في علاقته بالاستعمار. فمن جهة، دعا الليبراليون إلى الحرية والاستقلال، ومن جهة أخرى اتُّهم بعضهم بالتأثر الزائد بالغرب. ومع ذلك، شارك العديد منهم في الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال، معتبرين أن الحرية السياسية شرط أساسي لتحقيق التقدم. ابتداءً من خمسينيات القرن العشرين، بدأ الاتجاه الليبرالي يتراجع لصالح التيارات القومية واليسارية، خاصة بعد صعود الأنظمة الثورية مثل نظام جمال عبد الناصر، التي تبنّت سياسات اشتراكية وقومية. كما ساهمت الانقلابات العسكرية، وضعف المؤسسات الديمقراطية، في تقليص نفوذ الليبراليين.

المراجع والمصادر:

- محمد قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، ط 9، دار الشرق، 2001.
- محمد الحسن، **المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي**، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، قطر، 1998.
- علي جريشة، **الاتجاهات الفكرية المعاصرة**، ط3، دار الوفاء للطباعة والتوزيع المنصورة، 1990.
- حسن يوسف اللموشي، حسين معلول، **الليبرالية في الفكر العربي**، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، المملكة المغربية، 1992.